نسخة خطيّة من شعر الاخطل

وُجدت مؤخّرًا في طهران

بقلم الاب انطون صالحاني

في شهر تموز من السنة ١٩٣٢ ، اتاني تحرير من صديقي المستشرق اغناطيوس كراتشكوفسكي به يخبرني بوجود نسخة خطيّة من شعر الاخطل ، غير معروفة الى الآن ، يرتقي عهد كتابتها الى السنة ٤٩٩ هجرية (١١٠٥ مسيحية) ملك السيد عبد الرحيم خلخالي بطهران (ايران).

فبادرتُ الى مخابرة السيد ، صاحب النسخة ، لأعرف حالتها واهميتها. فاجابني حضرته بتاريخ ١٠ آب . ومما قاله : «... اني كنتُ في ما مضى مشتغلًا بمطالعة كتب القدماء من دواوين وتواريخ وغيرها . فجمعتُ عدّة من الكتب والنسخ الخطّية ما تيسّر لي. ومنها ديوان الشاعر اخطل التغلبي. وتاريخ كتابتها سنة ٤٩٩هـ وتاريخها مكتوب بالحرف تسع وتسعين واربعماية. وهي اقدم نسخة اطلعتُ عليها. ومن مزايا هذه النسخة كما يظهر من بعض الحواشي ومن خطوط ظهر الصفحة الاولى ان الاديب المعروف بالخطيب التبريزي شارح الحماسة صحّحها وقابلها بالنسخة الاصلية من البداية الى النهاية. وبعض المعاصرين من اهل العلم يظنّون ان النسخة بخطه الشريف . ومن مزاياها ايضاً ان الالفاظ المُعضلة والاشعار المشكلة شُرحت بتمامها وأُوضحت . واظن ان الشارح هو الخطيب المذكور . والاوراق والصفحات كلّها سالمة . . .»

وبعد مخابرات دامت اربع سنوات ، تمّ الاتفاق بيننا في شهر حزيران ١٩٣٦. فأُرسلت اليّ النسخة في ٤ ايار من هذه السنة ١٩٣٧ . وحالًا ابتدأتُ بمطالعتها ومقابلتها بالاربع النسخ المطبوعة من شعر الاخطل . فتحققتُ انها اكملها ، ليس فقط بمحتوياتها ، لكن ايضاً بصحّة رواياتها وبضبط حركاتها . فلا تكاد تجد فيها من الغلط الا ما ندر. فضلًا عن انها تحتوي على قصائد وقطع شعر لا وجود لها في الاربع النسخ التي نشرتها المطبعة الكاثوليكية ، كما سنبين ذلك.

الّا ان النسخة لا تخلو من بعض الاغلاط ، وان كان التبريزي قابلها . فانّ لكلّ جواد كبوة . فاللغة العربية لكثرة ما في كتابتها من الحروف المميّزة بالنقط ، ولكثرة ما يتبعها من الحركات ، يصعب ان لا تقع فيها اغلاط مهما جدّ وتأنّى الكاتب . مثلاً في البيت :

نابةٌ بعدَ الأَينِ يُفزعها صوتٌ لآخرَ تالٍ بعدها يقعُ

فكتب في شرح اللفظة نابة « النعتُ سرعة . . . » عوض « النعبُ سرعة . . . » فاخطأ سهوًا

ويغلط ايضاً الذي يعارض النسخة بالاصل اذا كان من العلماء لانه يلتفت الى المعاني اكثر منه للاغلاط المادية

اما قول البعض انّ كاتب النسخة هو الخطيب التبريزي ، شارح الحماسة ، فأرى انه غير صحيح . لان الخطيب التبريزي توفي في السنة ٥٠٢ وله من العمر ٨١ سنة . فمن يا ترى يقبل بالقول انّ شيخاً طاعناً في السنّ محباً للآداب ، مشغوفاً بشرح الاشعار العويصة المعاني ، يخصّص وقته الثمين ، وذلك ثلاث سنوات قبل وفاته ، لكتابة ٥٠٣ صفحات بجدّ وتأنٍ ، وهو غير محتاج لكسب معاشه .

انّ ما جعل البعض يقولون انه كاتب النسخة هو ما ورد في الصفحة الاخيرة منها : « عورض من اوله الى آخره والحمد لله . . . وصلّى الله على محمد و . . . » وتحت هذه العبارة كُتبت العبارة التالية ايضاً : « هذا خط الخطيب التبريزي اللغوي شارح الحماسة » . فعندي ان العبارة الثانية هي خاصة بالعبارة الاولى « عورض . . . » لا بكتابة القصائد . اي ان الخطيب عارض النسخة بالاصل المنسوخة عنه . ودليل آخر على ان الخطيب انّما عارض النسخة فقط هو ما ورد في بدء النسخة : « شعر الاخطل ابي مالك غياث بن غوث . . . التغلبي . . . الشكري روايته عن ابي جعفر محمد بن . . . » . وتحت هذا العنوان كُتب : « نجى بن علي الى ا التبريز . عارضته بالاصل المنسوخ منه من اوله الى ا . . . والحمد لله رب العالمين وصلى . . . وبا محمد » . اما اسم الخطيب التبريزي فهو كما ورد في كتاب نزهة الالبّاء في طبقات الادباء (ص٤١٣) : « ابو زكريا يحيى بن عليّ بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني الخطيب التبريزي » .

وقد لاحظتُ ان اللفظة « عُورض » التي في الصفحة الاخيرة تشبه كتابتها كتابة اللفظة « عورض » الواردة كثيرًا في هامش بعض الصفحات . فكل ذلك دليل على ان الخطيب قد عارض النسخة لا انه كتبها .

تحتوي النسخة على ٥٠٣ صفحات . طول الصفحة ٢٢ سنتيمترًا ، بعرض ١٧ . وطول المكتوب منها ١٦ ، بعرض ١٤ س . ويوجد عادةً ١١ سطرًا في الصفحة . وفي بعضها ينتهي بيت الشعر بكلمة او بكلمتين في الهامش . والحبر شديد السواد على ورق غليظ متين يضرب قليلًا الى الاصفرار ، غير ممزق لا في وسط الصفحة ولا في دائرها .

وتُرسم الكسرة غالبًا مائلة من الشمال الى اليمين كما في نسخة بطرسبرج . والشين بثلاث نقط افقية عادةً فوق السين هكذا ... وتؤكد الحروف الخالية من النقط بعلامات التحقيق فتُرسم حا. صُغيرة تحت الحاء ، وصاد صغيرة تحت الصاد ، وطا. صغيرة تحت الطاء ، وعين صغيرة ء تحت العين . وتحقق الزاء والسين من فوقها بهذه العلامة ◦ اي لا نقطة عليها . وقد يُحقق حرف السين بثلاث نقط افقية تحته ، والألف المقصورة كثيرًا ما يضع الكاتب نقطتين تحتها كأنها ياء ، وتُلفظ الفًا . وحرف الكاف يرسم عادةً كأنه لام لكن مائلًا قليلًا الى الشمال ، وبعض الاحيان توضع كاف صغيرة فوقه ، وقد يُرسم كما نرسمه اليوم . وتنوين الرفع يُرسم بضمة تعلوها فتحة . والالف المنفردة تنتهي في اسفلها بعكفة الى الشمال .

واذا كان الحرف خاليًا من الحركات فيُرسم عليه صفر هو دائرة صُغيرة غير كاملة كأنها دال صغيرة ، وبعض الاحيان دائرة كاملة . ويعبَّر عن ألف المدّ بألف ثانية تليها ، مثلًا آل تُكتب « الال » . ويحقق حرف الدال بنقطة تحته . وهاء الضمير بوضع ◦ فوقها . ويُكتب عنوان القصيدة بالحبر الاسود ، لكن باحرف اكبر واغلظ . واذا سها الكاتب عن كتابة لفظة في بيت شعر او في الشرح فيضع في موضعها شحطة مقوَّسة مائلة الى اليمين او الى الشمال ويكتب الكلمة اما في هامش اليمين واما في هامش الشمال . وعند انتهاء العبارة توضع عوض النقطة ء مُنتهية بشحطة الى الاسفل . ويضع نادرًا في اسفل الصفحة اللفظة التي تبتدئ السطر في الصفحة التالية .

اني ارجح ان الكاتب كان من الشيعة . لانه اكثر من مرة ، بعد ذكر يزيد بن معاوية في عنوان القصيدة، اتبع اسم يزيد بهذه العبارة في الهامش « لعنة الله على يزيد ».

وقصارى الكلام اني قلما رأيت نسخة خطية سُطرت من ثمانمائة واثنتين وثلاثين سنة حُفظت بهذه الحالة من السلامة ، وحُسن الورق والحبر ، والعناية في كتابتها .

هذا في ما يخص ظواهر النسخة . اما في ما يتعلق بموضوعها فانها تحتوي على كل ابيات شعر الاخطل الواردة في نسخة بطرسبرج ، وبغداد ، والنقائض ، ونسخة اليمن ، الّا ثلاث قصائد وردت في نسخة اليمن وحدها ، في الصفحات ١٢ و١٥ و١٨ ، وثلاثة ابيات وردت في الصفحة ٦٨ . الّا ان القصيدة التي في الصفحة ١٥ من نسخة اليمن ومطلعها :

هل عرفتَ الديارَ يا ابنَ اويسٍ دارساً نؤيُها كخطِّ الزبورِ

نُسبت في كتاب الحيوان للجاحظ (كتاب ٦ : ١٠٨) الى زيد بن بِشر التغلبي . فان صحت هذه النسبة لم يبقَ الّا قصيدتانِ من شعر الاخطل هما في نسخة اليمن وليستا في نسخة طهران . ومعلوم ان نسخة اليمن ينقصها كثير من شعر الاخطل .

وتحتوي نسخة طهران على قصائد وقطع شعر للاخطل لا توجد الّا فيها . وهذا ما يجعلها من اكمل النسخ لشعر الاخطل وانفسها .

لمّا طبعتُ في السنة ١٨٩١ نسخة بطرسبرج ، أضفتُ اليها الابيات التي لم تكن فيها ، وكنتُ وجدتها في امهات اللغة وفي كُتب الادب منسوبة للاخطل مثل البيت الذي نسبهُ البكري (٣٥٤) الاخطل (نسخة بطرسبرج ص٣٧٨) وهو :

خُولةَ بالدَّمْنِ رسمٌ كأنهُ عن الحولِ صُحفٌ عادَ فيهنَّ كاتبُ

فكان سروري عظيماً عندما وجدتُ في نسخة طهران هذا البيت ، وهو مطلع قصيدة ذات ٣١ بيتاً لا توجد الّا في نسخة طهران . ومن هذه القصيدة البيت الذي نسبه البكري (٦٨٤) للاخطل وهو :

وعارضَ امراب القطا فوق عاهنٍ فمتنيعٌ منه وآخرُ شاجبُ

وقال الشارح : « عاهنٌ جبل معروف وشاجبٌ هالكٌ . »

ونسب البكري (٣٥٦) للاخطل (نسخة بطرسبرج ٣٨٠) البيت :

حَلَّت سُلَيمى بدوغانَ وشطَّ بها غربُ النَّوَى وتَرَى في خلقها اودا

فهذا البيت مطلع قصيدة لا توجد في نسخة بطرسبرج وتوجد في نسخة طهران ونسخة بغداد. وفي نسخة طهران يروى : بروغان مع علامة التحقيق على حرف الراء . وفوق الكلمة « اودا » كُتب « العَرَج ».

ثم ان البيت المنسوب للاخطل في نسخة مسالك الابصار مع اغلاط بيّنة (نسخة بطرسبرج[١١] ٣٩٠) :

وسُرَّق للدهناء مُلْث كانها جلاجل بُزّ ذو جلاجلَ مُثقلُ

وكنتُ قدّرتُ ان موضعه بعد السطر السابع من الصفحة التاسعة من الديوان فقد وجدتُه في نسخة طهران في القصيدة ذاتها في الموضع الذي قدّرته له مصحّحاً هكذا :

وسُرَّقَ للدهنا مُلثٌ كأنّهُ . مُحمَّلُ بَزٍّ ذو جَلاجلَ مُثقلُ

وابيات غيرها منسوبة للأخطل ليست في النسخ وجدتها في نسخة طهران. وروايات مغلوطة رُويت مصحّحة فيها.

وفي ديوان الاخطل طبعة نسخة بطرسبرج (ص ٣٠٧) ثلاث ابيات حائية يردّ بها الاخطل على جرير كنتُ كتبتُ هناك غلطاً (ذيل الاخطل ص ٥٥٦ عدد ٣٠٧) انيا من قصيدة حائية للاخطل مُثبتة في نسخة اليمن (ص ١٢ - ١٥). وقد وجدتها في نسخة طهران في قصيدة حائية مختلفة عن نسخة اليمن تحتوي على ١٩ بيتاً. ومطلعها :

ألا جعل اللهُ الاخلاءَ كلَّهم فِداء لثورٍ حيثُ أمسَوا وأصبَحوا

ثم ان كاتب نسخة طهران أتى على ذكر اخبار بعض ايام العرب مثل يوم الدثر ويوم الثرثار ويوم الكلاب الاول (وهذا باسهاب) ويوم الكُحَيل ويوم الشرعَبية ويوم إراب . ويجب القول ان الشارح لم يترك اسم علم الّا شرحه شرحاً كافياً.

الى غير ذلك من الملاحظات التي سنثبتها في الحواشي التي نعلقها على الديوان

وقد تتبعتُ الابيات التي لا وجود لها الا في نسخة طهران فكان عددها ١٤٨ بيتاً . فصحّ اذاً انها اكمل نسخة لشعر الاخطل .